

ظاهرة الحزن وبواعثها في الشعر العربي المعاصر

أ/ نجية موسى
جامعة تلمسان (الجزائر)

الملخص:

أدرك الشاعر المعاصر أنّ الزمن الذي يعيشه، هو زمن عنف، وقهر، فجاءت أشعاره حزينة، ومعبرة عن صرخة تنطلق من أعماق الألم، والتمزق الإنساني، إنّها ضربات قضايا الواقع الأليمة التي توالى على الشاعر منذ الخمسينات، وأكثرها الأحداث السياسية الهائلة والفهم الخاطئ للمعاصرة والحداثة، كل ذلك خلق جوا حادا من التوتر، فالكآبة تعمقت جذورها في نفسه، وتحوّلت إلى فلسفة تشاؤمية ترى في الوجود الإنساني شرا وفي الحياة سلسلة حلقاتها من الألم الذي يفتت أجزاءها، فمظاهر الحزن تنوّعت بين الإحساس بالكآبة واليأس وبين الشعور بالغربة، والوحدة، وظاهرة الحب التي أصابها الحزن.

تمهيد:

لقد حركت التجربة الشعرية الجديدة، أقلام الكثير من الأدباء والنقاد، بعد جهود طويلة، وبعد نفاذ كل المحاولات الأدبية التي حافظت على المؤلف من الشعر العربي القديم والتي بعثت الطمأنينة في نفس القارئ بأن كل شيء على ما يرام، وأنه لا يمكن لأحد أن يبدع أحسن مما كان عليه، إلّا أنّ الشعر العربي المعاصر، جاء بالتغيير والتجديد، لا من باب القذف بالثقافة القديمة إلى البحر، أو الخروج من الجلد القديم، وإنّما من باب التعبير عن واقع الإنسان المعاصر بتجسيد همومه وأشواقه إلى تخطي زمن التخلف وتأكيد انتمائه إلى هذا العصر، الذي دمره وأفزعته. لي طرح تساؤلاته وشكوكه التي تبعث على القلق والحزن والتي توحى لنا بأنّ لا شيء في هذه الحياة على ما يرام، وأنّ هناك فرصا كثيرة للإبداع والخلق تخرج عن العادة، وعن كل ما هو معروف. وبالفعل قد مكنت هذه التجربة شعراء كثيرين أن يضعوا أقدامهم على مشارف واقع جديد، واقع ينتمي إلى عصر حب الاطلاع والرغبة في الخروج من زمن الثبات والجمود، فظهرت أصوات جديدة تشق طريقها كالمصاييح في ظلمات الليل، وتمهد لأساليب جديدة، في الثقافة والحياة المعاصرة. ويعد صلاح عبد الدين الصبور صوتا من تلك الأصوات، الذي أبدع في نقل تجربته الحزينة في الحياة.

ولأن هذه التجربة الجديدة عند هذا الشاعر أو عند أي شاعر معاصر آخر، تحمل قضايا واسعة ومتشعبة هي في حاجة إلى الوقوف عندها بكل دقة وعمق، بل الكثير من هذه القضايا يبقى إلى حد الآن بدون معالجة.

1- أسباب ظاهرة الحزن في الشعر العربي المعاصر: قبل البدء في الحديث عن ظاهرة الحزن وأسبابها في الشعر العربي المعاصر، أريد أن أوجه ملاحظة إلى كل من يعتقد أن الكلام عن الحزن دلالة على أن صاحب الكلام حزين.

إنّ صحة هذا الاعتقاد تبقى نسبية، لأنّ لكل واحد منّا مشاعر وأحاسيس خاصة به، لا نستطيع الكشف عنها من خلال اختياره لدراسة موضوع ما، فالمشاعر لا تحددها نوعية الدراسة، وإلاّ لكان الدارس لظاهرة التشاؤم متشائماً والدارس لظاهرة التفاؤل متفائلاً.

لقد عاش الشاعر المعاصر دائم الاحتكاك بواقعه ولم يعيش في نعومة ونعيم، بل إنّه عاش ولا يزال يعيش بين نار ذاته وطاعون واقعه. ولنا الحق في القول إنّ هذا الشاعر مثل الواقعية الجديدة أصدق تمثيل. إذ التحمت في شعره مشاكل واقعية مع الوجدان. فالحزن الذي أصاب الشاعر المعاصر لم يأت من العدم، وإنّما عندما أراد الشاعر أن يكون مخلصاً لذاته ويمنحها ما أرادت من حقوقها عليه، اصطدم بالواقع وبالنظام الخارجي. من هنا نقول أنّ الواقع وظروفه المؤلمة هي التي تسببت في حزن الشاعر العميق والصّادق. ذلك الحزن الذي نتج عنه الاضطراب والحيرة والقلق. لكن الشاعر المعاصر في حزنه الأول، نقول حزنه الأول، لأنّ للشاعر حزناً ثان هو أمرّ وأصعب، لم يشف منه نظراً لهزيمة شعره أمام الواقع المرير. فالشاعر في حزنه الأول، أراد أن يكون شعره حجة على عصره، يثور به ويرفض و يتمرد على واقعه المتخلف والمنحط. وذلك كله من أجل أن يخلق عصراً آخر، بل "إنّه يحترق اشتياقاً إلى عالم جديد"¹، عالم يخلق له الكفاية والعدالة، ويحقق له المشاعر الإنسانية الظاهرة التي يفتقدها في هذا الواقع الصعب.

إنّ الشاعر المعاصر ينظم من الشعر ولا يزال ينظم إحساسات ومشاعر صادقة واعية للواقع المتخلف الذي يتمثل في فساد الحكم وفساد مظاهر السلوك والقيم الاجتماعية والعادات ويثور على الفقر والبطالة والجهل والمرض. ووفق هذا الإطار الاجتماعي والحضاري الذي نعيش فيه، فإنّ الشاعر يعاني ألواناً مختلفة من المعاناة، أصعبها أن يكتشف الشاعر أن الإنسان هو نفسه، "اللاعقل الضعيف المتقاتل على التوفاه، المتناحر على الأشلاء والجيف، مازال هو هو الإنسان الذي يفتك قويه بضعيفه... والذي يفاضل بين بشرة وبشرة، وعقيدة وعقيدة، وسلالة وسلالة كأنما هو ما يزال في أول الطريق يخبو"² ومن الحقائق المرة التي عذبت الشاعر المعاصر، انفصال

الناس عن رابطة الأخوة الإنسانية، هذا الشعور الطيب بين قلوب الناس بدأ يختفي فكل شيء تغير في العلاقة الإنسانية من حب وصدقة، إلى غير ذلك من المشاعر الطاهرة ، وقد صدق من قال: إنّ المصالح تفسد العواطف، وأصبحت الخيانة و الغدر من سمات المجتمع المعاصر.

إنّ المصلحة المادية هي لغة من العصر، بها تقاس القيم الإنسانية وبها تحدد المستويات، فكيف للشاعر المعاصر ألاّ يحزن ؟ وكيف له ألاّ يتدمّر؟ وكيف له ألاّ ينفجر؟ لقد حزن الشاعر، وانفجر يكتب شعرا يتحدّى به هذه الأوضاع أملا في تغييرها. وبذلك وقف الشعر أمام الواقع المرير يحاربه، "فبرزت أسماء الشعراء الواقعيين على صفحات دواوينهم"³ يرفضون ويثرون ويتمردون على هذه المرحلة الحضارية ينتظرون النصر بفارغ الصبر، النصر المتمثل في خلق واقع جديد، ولكن طريق الشاعر إلى النصر، إنّما امتلأ بعثرات اليأس والمرارة، طريق زرع بأشواق حادة، أصبح من الصعب اقتلاعها، ذلك لأنّ الوضع المر أصبح أمر، فكم من شاعر ذهب ضحية وقفته الصلبة من قضايا عصره من مثل "زيد الموشكي ومحمد محمود الزيري... ودخل عدد منهم السجون كمفدي زكرياء وسليمان العيسى... وأبعد بعضهم الآخر عن عمله كالسياب والجواهري والبياتي"⁴.

إنّ الشاعر المعاصر انتظر الكثير وصبر صبرا لا يطاق لقدوم النصر، فلما تأكّد أنّ انتظار النصر هو وقت ضائع من عمره ن أعلن أنّ الزمن المعاصر هو زمن عنف وقهر ، فجاءت أشعاره حزينة ومعبرة عن صرخة تنطلق من أعماق الألم والتمزّق الإنساني "فتجرع غصص العذاب النفسي... أثناء عملية التأمل فيما هو كائن وما يجب أن يكون، فظهرت في شعره معاني الغربة والتمزّق"⁵.

إنّ ضربات قضايا الواقع الأليمة توالى على الشاعر المعاصر منذ الخمسينات وأكثرها الأحداث السياسية الهائلة، والمجابهات والحرب والنكبات الجماعية والمآسي الفردية"⁶، والفهم الخاطئ للمعاصرة والحداثة، كل ذلك خلق جوا حادا من التوتر كاد يخنق الشاعر المعاصر، إن لم نقل خنقه أشد خنقة . فالكآبة تعمقت جذورها في نفسيته وتحولت إلى فلسفة تشاؤمية ترى في الوجود الإنساني شرا وفي الحياة سلسلة حلقاتها من الألم الذي يفتت أجزاءها. وصدق الشابي عندما قال: "هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالأحزان". فالحياة أتعبت الشاعر المعاصر وأحزنته حتى التشاؤم، فهو لا يرى ولا يتكلم إلاّ عن الموت والدمار والفساد والضياع، لأنّه ينقل الصورة الصادقة عن الواقع المرير، فلا عجب إذن لو قلنا أنّ الشاعر المعاصر معه الحق في أن يكون حزينا فهو ما كره السعادة إن وجدها في مجتمعه، ولكنه افتقدها ولم يجد إلا ما يجعل

النفس أسيرة الحزن الأبدي. وقد أكد الشاعر العراقي البياتي أنَّ الواقع المعاصر هو واقع محطَّم، حيث يقول: "عندما غمر النور الواقع الإنساني أمام عيني مع بداية الخمسينات كانت الصورة التي ارتسمت أمامي صورة واقع محطَّم يخيم عليه اليأس".⁷

ولكي نوضح أكثر أنَّ الشاعر المعاصر عمل جاهدا على تغيير الواقع، وذلك في مطلع حياته الأدبية، إلّا أنَّ نفسيته الحسّاسة اصطدمت بمشكلات واقعه. فمثلا الشاعر المعاصر المصري "أحمد عبد المعطي حجازي" كانت له ثقة كبيرة بتغيير الواقع المرير، ومحارته، لكن عندما نفذ صبره، انتهى إلى رثاء عمره الجميل الذي صخره في بناء الأحلام والأمان، لكن أمله خاب وضاعت أحلامه، ليكتب في آخر صفحات ديوانه الرابع (مرثية العمر الجميل) مرارة هزيمة الكلمة في مدينة بائدة:

هذا أنا أنهض في مدينة بائدة
أخرج من تحت الركام
أفلت من دم الفريسة الذي يسكنني
من وجوه أصدقائي العنكبوتية⁸

لم يكن أحمد عبد المعطي حجازي الوحيد الذي أحن إلى الأمان والاستقرار بعيدا عن هذا المجتمع الزلق في التناقضات، المليء بالنوازع والاتجاهات، فقد اشترك عدد من الشعراء المعاصرين بهذا الحنين إلى العالم المستقر منهم محمد الماغوط الذي يقول في قصيدة من ديوان (الفرح ليس من مهنتي):

أيها العصر الحقيق كالحرشة
يا من أغريتني بالمروحة بدل العواصف
و بالثقاب بدل البراكين
لن أغفر لك أبدا⁹

إنَّ وصف الماغوط العصر بالحقيق، جاء من خيبة أمله في تغيير المجتمع، لأنَّ "هذا الظلم الاجتماعي والسياسي الذي ينهب على الفرد مع كل صباح فلا يعرف الإنسان من أين يجيئه القهر، هو أقوى منه وأشدَّ فهرا، يضاعف حدة التوتر ألف مرة، ويضاعف غربة الإنسان ألف مرة، وهي غربة ناتجة عن التعسف والقمع، عن سلب الإنسان حقوقه".¹⁰

إنّ حزن الشاعر المعاصر جديد، لأنه أدرك مأساة الوجود ككل، والظروف كما ذكرت سابقا كانت مهياةً ليحيا هذا الحزن الكبير في نفسية الشاعر، بعدما حاول التصدي للفجعة التي يعاني منها مجتمعه المعاصر، وجد نفسه أمام فجعة أكبر هي خيبة أمله في إيجاد الحلول الملائمة. ولقد أكد الشاعر صلاح الدين عبد الصبور أنّ الحزن لا خلاص منه، وذلك عندما شبه الحزن بالطريق الطويل الذي لا مخرج منه إلاّ والجحيم نهايته، ويشبهه أيضا باللص الذي يفزع ويهجم و يقلق سكينه اللّيل وطمانينتها، حيث يقول:

حزن طويل كالطريق من الجحيم إلى الجحيم

كاللص في جوف المدينة¹¹

لقد وصل حزن الشاعر المعاصر إلى أبعد حد له، بل وصل إلى درجة أصبح فيها لا يميز بين الفرح والحزن، بين السعادة والتعاسة، بين الضحك والبكاء، بين الفرح والضيق، كل هذه المعاني الشعورية امتزجت ببعضها البعض لتعطي في الأخير كل ما يدل على المرارة و السأم والتعاسة. فلو مرت ساعة الفرح على الشاعر، حتما سيتبعها حزن طويل، حزن يأتي به التذكار للآلام وأوجاع التي مر بها ولا زال يعاني منها. حزن يجعل الشاعر يعيش في خوف دائم لأنّه يجهل المصير، والمستقبل في نظره غامض ومظلم. لقد جاء صلاح عبد الصبور يقول عن الحزن وذلك في ديوان (أحلام الفارس القديم)، يقول:

أراه فجأة إذا يمتد وسط ضحكتي¹²

إنّ صلاح وأمثاله من الشعراء المعاصرين كم انتظروا الفارس الذي يدهم على تلك الخطوة، لكنه لم يأت، وبذلك أخفقوا عملية البعث والبناء و تلاشوا في تأملاتهم الجريحة وهكذا هزم الشعر أمام الواقع فصاح صلاح عبر (تأملات في زمن جريح):

يامن يدل خطوتي على طريق الدمعة البريئة¹³

وبوصول الحزن المرحلة المأساوية، أصبح ظاهرة شائعة في القصيدة العربية المعاصرة له العديد من "المحاور التي تشكل كل منها مظهرا من مظاهر هذه المشاعر الحزينة في القصيدة المعاصرة، فاستطاع صلاح الدين عبد الصبور أن يعبر بالحزن عن تجربة الغربة والبحث عن المثل التي عاشها واستطاع حجازي ومحمد مهران السيد ومسلم الجابري أن يؤكدوا مشاعرهم الحزينة من خلال محاصرة المدينة وإحساس الذات بالغربة داخلها"¹⁴.

بعد الحديث عن ظاهرة الحزن، كيف بدأت وشاعت في الشعر العربي المعاصر، لا بأس أن نحاول الآن أن نقرب من الشعراء أنفسهم لنتبين بواعث حزنهم ومظاهره في شعرهم، هذه المظاهر التي تنوعت بين الإحساس بالكآبة واليأس وبين الشعور بالغربة والوحدة والضياع ومحاصرة المدينة وظاهرة الحب التي أصابها الحزن.

2- بواعث و مظاهر حزن الشاعر العربي المعاصر:

2-1- ظاهرة الكآبة و اليأس: عندما أعلن الشاعر المعاصر الحرب على واقعه المتخلف أملاً في حدوث التغيير، كان في أتم الاستعداد والقوة، حيث دافع بشدة وحزم من أجل خلق التوازن بين ذاته والنظام الخارجي، وكان في كل مرة يحاول ويعيد المحاولة بصبر واحتمال لا يطاق، لكن لما أحسّ بطول الانتظار الذي أتعّب قلبه بل كيانه كله شعر بخيبة أمل كبيرة ومريرة، لا يمكن أن يشعر بها إلا صاحبها، عندئذ فقد الأمل في أن يواصل محاولة البعث والبناء واستسلم لليأس، بعدما تأكد أنّ نظام الوجود الخارجي مليء بفساد الأخلاق وفساد الضمائر، والعادات والشور الروحية، بينما نظام ذات الشاعر المعاصر مليء بالبساطة والبراءة، حيث لا يمكن أن يلتقي النظامان معاً، فقد اصطدمت النفسية الحساسة للشاعر المعاصر بالنظام الخارجي، وأحسّ عندها بالانهيار والسقوط، إذ أصبح يائساً من جدوى كتابة الشعر، لأنّ الفاجعة ألحقت به أمراضاً في جسمه، وأشواكا في أنفاسه، ونزيفا في رأسه.

يقول صلاح الدين عبد الصبور الذي فقد الدفء بعد طول التجمّد، وأصابه الخوف والرعب والفرع:

ينبني شتاء هذا العام أنّ ما ظننته..

شفائي كان سمّي

و أنّ هذا الشعر حين هزّني أسقطني

ولست أدري منذ كم من السنين قد خرجت¹⁵

ويقول الشاعر نفسه معبّراً عن يأسه من الحياة التي أتعّبته وأخذت منه الكثير ولم تعطه إلاّ الخوف والشعور بالضياع:

معذرة يا صحتي ، قلبي حزين

من أين آتي بالكلام الفرح¹⁶

إنّ حياة اليأس أوصلت الشاعر إلى مرحلة مأساوية ما بعدها مرحلة، إنّها المرحلة التي يتمنى فيها الشاعر المعاصر الموت للتخلص من خطيئة الوجود ن لأنّه أدرك أنّ الحياة أكذوبة والموت الشيء الحقيقي فيها، فها هي ذات صلاح تنطلق صارخة في وجه هذا الكون، تطلب الموت وتدمير الحياة:

تعالى الله هذا الكون لا يصلحه شيء

فأين الموت، أين الموت، أين الموت¹⁷

إنّ الشعور بالكآبة واليأس نراه أيضا في أعمال نازك الملائكة هذه الشاعرة التي لديها الإحساس بالخوف والرعب، عندما اصطدمت بنفسيتها بالصورة المخيفة للوجود والتي أصبحت تطاردها كقوة جبارة فانطلقت ذاتها بصرخة كبيرة:

أين أمشي؟ مللت الدروب

وسئمت المروج

والعدو الخفي اللجوج

لم يزل يقتفي خطواتي، فأين الهروب؟¹⁸

2-2- ظاهرة الوحدة و الضياع و الغربة: إنّ الشعور باليأس الناجم عن عجز الذات في تكيفها مع النظام الخارجي ولّد عند الشعراء المعاصرين شعورا آخر وهو الإحساس بالوحدة، فالذات ترفض معايشة الواقع ولا ترغب في التعامل مع قانون الوجود، ومن ثمّ فلا خلاص لها إلّا العيش وحيدة، منطوية ومنعزلة على نفسها، مستغرقة في حزن عميق، كونها ضاعت في زمن غير زمانها، زمن لا صلة لها به، زمن جعلها تحي بمشاعر الخوف والعي والسقوط. يقول صلاح عبد الصبور:

أحس أنّي خائف/و أنّ شيء في ضلوعي يرتجف

وأنتي أصابني العي فلا أبين

وأنتي أوشك أن أبكي/ وأنتي/ سقطت،/في، كمين/كمين.¹⁹

2-3- ظاهرة محاصرة المدينة: لقد ظهرت معاناة الشاعر المعاصر لمظاهر الحياة في المدينة بسبب معاشته للواقع ونتيجة لمحاولة بحثه عن الوجود الاجتماعي والسياسي حينما رحل إلى المدينة آملا في أن يجد ذاته، باحثا عنها في وسط أوسع وأعمق، لكنه اصطدم مرة أخرى بالوجود ليجد الحياة مذبحا لأحلامه ورغباته، إنّها المدينة التي تقتل البراءة وكل القيم الإنسانية، لقد وجدها

الشاعر قاسية لا ترحم، معقدة بمفاهيم الناس وتصرفاتهم، وجدها تحاصره وتخنفه لانعدام الروابط الإنسانية والاجتماعية فيها، يقول حجازي مصورا قسوة المدينة:

شمسك يا مدينة قاسية علي وحدي²⁰

إنَّ أبرز ما يميّز المدينة كما وصفها الشعراء، عامل الزمن الذي أصبح ميزان العلاقات الإنسانية، فالناس يعيشون في زحمة الزمن القلق الذي ضيع الأحاسيس الحقيقية ومحى قيمة الإنسان كإنسان. ومن مظاهر معاناة الشاعر لحياة المدينة إحساسه بالوحدة رغم وجود الناس، لكن من هؤلاء الناس؟ إنهم لا يبالون بالإنسان إن احتاجهم، لا يعرفون معنى الصحبة والصدقة. هذا ما جعل الشاعر يحس بالوحدة عندما بحث عن الرفيق فل يجده، عندما بحث عن عاطفة الحب في إنسان المدينة ولم يجدها، يقول حجازي:

طرقت نوادي الأصحاب لم أعثر علي صاحب²¹

وتنطلق ذاته صارخة لأنها تعاني الفراغ الوجداني:

أواجه ليلي القاسي بلا حب/ وأحسد من لهم أحباب²²

لقد أنتج التمرق في العلاقات الإنسانية بين الناس في المدينة وانشغال كل فرد بنفسه شعورا مأساويا عند الشاعر المعاصر، الذي أصبح يخاف أن يأتيه الموت في المدينة، لأنه يعرف مسبقا أنَّ لا أحد سيبكي عليه أو يحزن لموته، فهو يعيش غريبا ويموت غريبا، ولم يبق منه غير ذكرى عابرة، يحياها مقربوه في القرية التي ولد بها، يقول صلاح:

...وقد أموت قبل أن تلحق رجل رجلا

في زحمة المدينة المنهزمة/ أموت لا يعرفني أحد

أموت لا يبكي أحد/ وقد يقال، بين صحي، في مجامع

المسامرة/ مجلسه كان هنا، وقد عبر/ يرحمه الله²³

2-4- ظاهرة الحب و الجنون: إنَّ الحب بالنسبة للشاعر المعاصر كان دواء وصفه لذاته، بل مخدراً لها كي ينسى الآلام والأوجاع وحتى يبدو له كل شيء جميلاً، لأنَّ عاطفة الحب هي أسمى عاطفة في الوجود، عاطفة تفتح لنا أبواب السعادة تملأ فراغنا بالحنان والدفء وتغيّر نظراتنا للواقع، فنراه جميلاً يعمد الخير والسلام. يقول صلاح في قصيدة (أغلى من العيون):

يغسلني حنانك الرقيق مثلما،/ تغتسل السماء بالغمائم

..يموت حزني العقيم، حزني المقيم/ يصافح الحياة وجهي الذي نظرت به بسمتك²⁴

لكن السؤال الذي نطرحه: إن كان الحب هو المنقذ الوحيد من الحزن، فكيف عدّ الحب سببا من أسباب أحزان الشاعر المعاصر؟ لقد تساءل أدونيس قائلا: هل الحب وحده مكان لا يأتيه الموت؟

نقول نعم، إنّ الحب هو الآخر لم يسلم من الموت، فقد مات عندما فقد الشاعر القدرة عليه، وأصبح داء بعدما كان دواء لشفائه من حزنه، وزادت الآلام أضعافا ما كانت عليه، فما أعمق حزن الذات لما تفقد أسمى عاطفة في الوجود. يقول في قصيدة (رسالة إلى سيدة طيبة):

أشقى ما مرّ بقلبي أنّ الأيام الجهمّة/ جعلتها يا سيدتي قلبا جهما

سلبته موهبة الحب/ وأنا لا أعرف كيف أحبك/ وبأضلاعي هذا القلب²⁵

إنّ ظاهرة الحب أصابها التغيّر بفعل الزمن، فجفت بعدما وقع تحول واضح فيها، فالناس لم يعد يهمهم الحب بقدر ما تهمهم المادة، حيث أصبح هذا الشعور الجميل يحكمه الإنسان، بعدما كان شعورا يأتي فجأة دون أن يعلم صاحبه، شعور يأتي بصدق تلك العاطفة، أصبح الإحساس مزيفا وغير عادل، لأنّ الإنسان في وقتنا المعاصر لا تهمّه الروح بقدر ما يهمّه الجسد وكما قال أدونيس:

الحب عند الآخرين جف و انحصر/ معناه في صدر و ساق²⁶

الخاتمة :

إنّ هذه التعقيدات التي يعاني منها الشعراء المعاصرون سببها الواقع المعاصر الذي يعيشون فيه، واقع مليء بالهزائم والتناقضات، واقع مادي يكشف عن الخراب والقلق والحيرة والأحلام المستحيلة، ورغم الجهود التي قدمها الشاعر المعاصر ليغيّر هذا الواقع، وليخلق معادلة بين ذاته والوجود، إلا أنّ النظام الخارجي الفاسد اهتز أمامه و اهتزّت القيم والمعايير التقليدية، فأصبحت ذاته بالتمزق وزاد إحساسه بالمرارة الحزينة، حتى أن الأمل بقي معلّقا عنده بظهور ما يبعث فيه الحياة.

لكن هذا لم يحدث، وبقي الضجر يمشي في نفسه ويخلق لها السأم والتعاسة، وبذلك كان الواقع بؤرة شاسعة لعذاب ذاته ومحتتها.

أما عن مظاهر حزن الشاعر المعاصر فقد تمثلت في ظاهرة اليأس والكآبة الناتجتين عن الإحساس بعدم التوازن النفسي بين الذات و بين الواقع الخارجي، والفشل في تحقيق مثاليات الذات في ظروف هذا الواقع. وقد عبر صلاح عبد الصبور في قصائده عن هذا الشعور الذي

عذبه وحطمه، وثاني مظهر هو الإحساس بالوحدة والضيق والغربة، إنّ هذا الإحساس جاء نتيجة ضالة ما يحقق له الوجود الحيائي، فالذات ترفض التعامل مع قانون الوجود، ولا ترغب في معاشة الواقع، ومن ثم كان لها أن تحي في زمن لا صلة لها به، أمّا المظهر الثالث فهو الإحساس بمحاصرة المدينة التي صوّرها تصويراً تشوبه نبرات الأسى لها والنقمة عليها ورفضها، فهي رغم اكتظاظها بالناس إلا أنّه يحس بالوحدة فيها، نظراً لتمزق العلاقات الإنسانية واختفاء عاطفة الحب بين الناس، وآخر هذه المظاهر هي ظاهرة الحب والحزن، لقد كان الحب الفرحة الأخيرة والأمل الوحيد في حياة الشاعر، لينسى به الحياة باعتباره أسمى المشاعر وأنقاها، لكن هذه العاطفة لم تنج هي الأخرى من قساوة الزمن، فجفت وأصبحت مزيفة، وغير عادلة، وهكذا زادت آلام الشاعر المعاصر أضعاف ما كانت عليه.

إنّ ظاهرة الحزن عند الشاعر المعاصر تنم عن نوع من الحزن، إنّ قلق البحث عن المعنى الحقيقي للحياة، قلق شاعر يريد أن يتجاوز الوضع الراهن للحياة حتى يصل إلى مستوى آخر أكثر قيمة، فهذا النوع من القلق والحزن هو حالة نفسية لازمة التطور، وبمعنى أوضح، فإنّ الشعور يساعد على دفع الإنسان إلى التقدم، إنّ الرياح التي تساعد سفينة البشر على السير والتحرك في الحياة بدلاً من الجمود والركود، ومن حق الشاعر المعاصر أن يشعر بالحزن لأنّه يرى العالم في صورة لا ترضي إحساسه وهو يرفض هذه الصورة و يطلب البديل لها.

هوامش البحث:

¹ زكي نجيب محفوظ، مع الشعراء، دار الشروق، بيروت. ص9

² المرجع نفسه. ص80

³ نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984، ص336.

⁴ المرجع نفسه. ص336

⁵ المرجع نفسه. ص336

⁶ عزالدين إسماعيل، في قضايا الشعر العربي المعاصر، تونس، 1988 ص 100

⁷ عزالدين إسماعيل، نقلاً عن الشعر في إطار العصر الثوري، دار القلم، ط1، بيروت 1974

⁸ نقلاً عن المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص593

⁹ نقلاً عن في قضايا الشعر العرب المعاصر ص101

¹⁰ المرجع السابق نفسه ص 101

¹¹ إحسان عباس، نقلاً عن اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار القدس ط2

-
- ¹² عزالدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية و المعنوية، دار العودة و دار الثقافة، ط2
- ¹³ صلاح عبد الصبور، ديوان "أحلام الفارس القديم"، دار الشروق، ط4
- ¹⁴ السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، دار النهضة، بيروت، ص 257
- ¹⁵ ديوان أحلام الفارس القديم، ص10
- ¹⁶ المصدر نفسه، ص5
- ¹⁷ المصدر نفسه، ص 64
- ¹⁸ مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ص515
- ¹⁹ صلاح عبد الصبور، ديوان "شجر الليل"، قصيدة "تأملات ليلة"، دار الشروق، بيروت، 1972
- ²⁰ لغة الشعر العربي الحديث، ص267
- ²¹ الشعر العربي المعاصر، ص334
- ²² لغة الشعر العربي المعاصر، ص269
- ²³ ديوان أحلام الفارس القديم، ص10
- ²⁴ المصدر نفسه، ص42
- ²⁵ المصدر السابق نفسه، ص31
- ²⁶ نقلا عن اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص198